دور السياق غير اللغوي وأثره الدلالي في أحاديث الرسول (ص)

(في شرح الإمام السبكي لسنن أبي داؤود أنموذجا)

Role of Non-Linguistic Context and its affect in fixing the meanings in Sayings of Prophet (PBUH) - (In Explanation of Imam Subki for Sunan Abi Daoud as Example)

DOI: 10.5281/zenodo.8153190

*Rabeea Raouf
**Dr. Zaheer Ahmad

Abstract

Context Theory is an important chapter of Semantic studies. It deals with the context and circumstances around a textual speech or oral conversation. It includes all related factors that can affect the meanings of that text or conversation. It has two main streams: Linguistic context which emphasize language tools whereas non-linguistic context which discusses circumstances. When we come over to this theory we now better that any conversations or text could not be understood without knowing the context either it is linguistic or non-linguistic. This article studies the non-linguistic context and its effect on fixing the meanings in sayings of Prophet (PBUH). It will attract the potential researchers to make their research in this very important aspect of semantic studies especially related to the sayings of our beloved Prophet Muhammad (PBHU). Interestingly Muslim scholars who had wrote Quranic Tafseer and Explanations of Sayings of Prophet (PBUH) never ignored the contextual meanings whereas context Theory has been presented by European Linguistics but the concept was in minds of Muslim scholars. The article will take the analysis of Imam Subki who wrote the explanation of "Sunan Abi Daoud" and discussed the context theory with all its components. This is an example of a vast research in the field of Context Theory.

Keywords: *Context Theory, Non-Linguistic, Circumstances.*

مقدمة:

تعتبر كلمة "سياق" في اللغة العربية من المفاهيم المهمة في فهم النص والمعنى. بشكل عام ، يشير "السياق" إلى المكان الذي يتم فيه استخدام كلمة أو عبارة معينة في النص ، وتضيف إلى هذه البيئة معنى ودلالة جديدة للكلمات والعبارات. قبل فهم معنى الكلمات والعبارات المستخدمة في النص ، يجب على القاريء فهم السياق الذي يستخدم فيه هذه العبارات، لأن المعنى الحقيقي للكلمات يُستخلص من السياق الذي تستخدم فيه.

. . . . . .

**PhD Scholar,Department of Linguistics – Faculty of Arabic,International Islamic University – Islamabad,rabia.rauf.vt@iiu.edu.pk*

***Assistant Professor/ Incharge Department of Linguistics, Faculty of Arabic,International Islamic University – Islamabad,-zaheer.ahmad@iiu.edu.pk*

معنى السياق لغةً:

كلمة "السياق"، مشتقة من أصل الكلمة (س و ق)، وتعني أصلاً " السواق"، أي الشخص الذي يقود حيواناً أو مركبة. في اللغة العربية الحديثة ، يتم تحويل حرف " الواو " في كلمة " السواق " إلى حرف "الياء" ، ليصبح "سياق" بمعنى البيئة اللغوية التي تُستخدم فيها الكلمة في النص. أولاً ، ننتقل لغويًا إلى معنى السياق ، ونجد أن المعنى يتم الحديث عنه على نطاق واسع، وجاء ابن الأثير بمثل هذا الكلام في كتابه "النهاية" حيث يقول: "ويقال له السياق أيضا، وأصله سواق، فقلبت الواو ياء لكسرة السين، وهما مصدران من ساق يسوق."[1] إذن (السين والقاف والواو) أصله. ويقال ساق يسوق سوقا. ويُستعمل الكلمات الماخوذة من هذه المادة لعدة معانى أخرى، وعند الزمخشرى معناه التتابع والسرد كما يقول:"وتساوقت الإبل: تتابعت. وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و" إليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقة إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده. وضرب البخور بكمه وقال: سوقاً إلى فلان. والمرء سيقه القدر: يسوقه إلى ما قدر له لا يعدوه".[2] وجاء بعض الباحثين بشرح كلام الزمخشري حيث يقول: "ويؤذ مما ذكر صاحب أساس البلاغة (الزمخشري) أن لفظ السياق قد ورد استعماله (مجازيا) مع كل من: المتكلم الذي يسوق الحديث، والمطلوب إليك يساق الحديث، والكلام (النص المنطوق أو المكتوب) وذلك في قوله: هذا الكلام سياقه كذا."[3]

معنى السياق اصطلاحا:

يعبر المصطلح "السياق" عن البيئة التي تحيط بكلمة أو جملة أو نص، وتشمل الظروف الاجتماعية والثقافية والتاريخية واللغوية التي يتم استخدامها فيها. وتعتمد فهم المعنى الحقيقي للكلمة أو الجملة أو النص بشكل كبير على السياق الذي يستخدم فيها. ومن المثالين المذكورين، يمكن استخدام "البيت" في سياق العقارات للإشارة إلى المسكن، في حين يمكن استخدامه في سياق الأسرة للإشارة إلى أفراد الأسرة. لذلك، يعتبر فهم السياق مهمًا جدًا لفهم المعنى الصحيح، ولكن قد يكون تحديد المعنى بدقة بعض الشيء صعبًا، لأن السياق يمكن أن يتغير باستمرار ويختلف من شخص لآخر ومن موقف لآخر، ويمكن الاستعانة بمصطلحات متعددة للإشارة إلى مفهوم "السياق"، مثل "المقام" و"القرينة" و"مقتضى الحال". وتعني جميعها البيئة المحيطة بالكلمة أو الجملة أو النص المستخدم بها. وتستخدم هذه المصطلحات بشكل شائع في اللغة العربية، مع إمكانية استخدام المصطلح الأنسب وفقًا للسياق والأسلوب.

أركان السياق:

نعلم أن السياق هو المحيط اللغوي الذي يحيط بالنص ويتكون من الكلمات والجمل التي تسبق النص وتليه، والتي تساعد على فهم معنى النص بشكل أفضل وأدق. يمكن تفسير السياق على أنه عبارة عن تتابع

للكلام يأخذ بعين الاعتبار الكلمات السابقة واللاحقة للنص، ويعتبر السياق عنصراً مهماً في فهم المعنى الحقيقي للنص. ولتوضيح ذلك، يتم تقسيم السياق إلى ثلاثة أركان رئيسية، ويعمل كل ركن على توضيح وتحديد المعنى الذي يراد فهمه من النص.

الركن الأوّل: السابق أو الكلمة السابقة

هو الجزء الذي يشير إلى الكلمات أو العبارات التي تأتي قبل النص الحالي وترتبط بمعناه، وتقدم توضيحاً للمعنى العام للنص. ويعتبر هذا الركن الجانب الزمني للسياق لأنه يشير إلى الجزء السابق من النص الذي يمكن أن يحدد تاريخ أو زمن الحدث المشار إليه في النص. وعند قراءة النص، يساعد الركن الأول من السياق على فهم المعنى بشكل أكثر دقة واستيعاب العلاقة بين الجمل والفقرات في النص، وعرّفه صاحب المقاييس اللغة قائلا: "السين والباء والقاف أصل واحد صحيح يدلّ على التقديم."[4] والكلام الذي يسبق النص الحالي ويوضح معناه ويعطي مقدمة عن الشيء الذي سيأتي بعده يعرف بـ "الكلمة السابقة" أو "السابق". ويعتبر هذا الجانب الزمني للسياق، حيث يوضح الكلام السابق المفهوم الذي يراد فهمه من النص ويساعد في تحديد معنى النص بشكل أدق.

الركن الثاني: اللحاق أو الكلمة اللاحقة:

يشير السياق إلى الكلمات التي تأتي بعد النص الحالي والتي تعتبر مهمة في فهم المعنى الكامل للنص، حيث تتوسط في فهم الجزء الذي يسبقها. وبهذا الركن يتم إضافة البعد المستقبلي للسياق والذي يساعد في فهم ما سيأتي فيما بعد من النص. فعلى سبيل المثال، إذا كان النص يتحدث عن طقس اليوم وجاءت بعدها كلمة "ولكن"، فإن هذه الكلمة تعتبر جزءًا من الركن الثالث للسياق وتعطي معلومات إضافية عن ما سيأتي في المستقبل من النص، وعرّفه صاحب المقاييس اللغة قائلا: "اللام والحاء والقاف أصل يدلّ على إدراك شيئ وبلوغه إلى غيره."[5]

الركن الثالث: ألفاظ الكلام أو الوحدات اللغوية

يشير السياق في هذا إلى الجزء الذي يتكون من المفردات والجمل والفقرات التي تشكل النص وتساعد على توضيح وتحديد المعنى الكامل للنص. يمثل هذا الجانب من السياق جانب الهيكل والتركيب، ويعمل على تحديد الترتيب والتسلسل اللغوي للنص، ويساعد على فهم تنظيم الأفكار والمعلومات في النص. يمكن أن يكون هذا الركن مهمًا جدًا في فهم المعنى الكامل للنص، خاصة إذا كان النص يتضمن مفردات وتراكيب لغوية معقدة أو تنظيم معلومات غير واضح.

أنواع السياق:

كما تعلمنا سابقًا، فإن السياق هو البيئة التي يتم فيها صياغة الخطاب، والذي يتأثر بمجموعة من العوامل

والمتغيرات التي تؤثر على فهم المعنى والغاية التي يحملها النص. ويتكون السياق من ثلاثة أركان رئيسية وهي:
1- **الوقت**: يشير إلى الوقت الذي يتم فيه الكلام ، ويمكن أن يكون له تأثير كبير في فهم معناه ومعناه ، حيث يمكن أن يتغير محتوى النص حسب الوقت و- قراءته.
2- **المكان**: يشير إلى المكان الذي يتم فيه الكلام ، ويمكن أن يؤثر على فهم المعنى والمعنى ، لأن تفسير النص يمكن أن يختلف باختلاف ثقافة هذا المكان وتقاليده وثقافته. قراءة. مكان ما. 3- المتلقي: هو الشخص أو الجمهور الذي يتلقى الخطاب ، وهذا يمكن أن يكون له تأثير كبير على فهم معناها ومعناها.
3- **الغرض**: هو الغرض من الكلمة ، ويمكن أن تؤثر على فهم معناها، حيث يمكن أن يتغير معنى النص اعتمادًا على الغرض من الكلمة. ويمكن تقسيمه بهذا الاعتبار إلى قسمين رئيسيين، وهما:

- الأول: السياق اللغوي أو المقال والثاني: السياق غير اللغوي أو المقام

- **السياق اللغوي أو المقال:**

في الواقع ، تعد لغة المقالات انعكاسًا لحالة اللغة الداخلية ، ومن المهم جدًا تحديد الشخصيات ورموزها. ببساطة، السياق اللغوي هو العلاقة بين الكلمات والجمل في النص ، وهو يحدد العلاقة الداخلية بين هذه العناصر في اللغة. يفسر النص عن طريق الجمع بين الأصوات لتكوين الكلمات ، والجمع بين الكلمات لتشكيل الجمل ، والجمع بين الجمل لتكوين النص ، وإنتاج سياقات لغوية تحدد النص. لذلك ، فإن علم اللغة مهم جدًا لفهم الكتب المقدسة وتصحيح علاماتها ورموزها. بشكل عام ، يمكن تعريف السياق اللغوي على أنه الروابط الداخلية بين الجوانب اللغوية للنص والتي تساهم في الفهم العام للنص. تشمل الشروط اللغوية اللغة المستخدمة والكلمات والقواعد والعبارات والجمل الكاملة وعلاقتها ببعضها البعض في النص. يمكن القول أن علم اللغة يساعد على فهم ما هو مخفي في النصوص ، والذي لا يمكن كشفه من كلمات وجمل مختلفة. يحدث هذا بسبب العلاقة بين هذه الكلمات والعبارات وكيفية ارتباطها ببعضها البعض. على سبيل المثال ، إذا كانت هناك كلمتان \ "ماء \" و \ "نار" في النص ، فلن يكون من السهل معرفة معنى هاتين الكلمتين إذا لم يكن هناك سياق حولهما.

نظرًا لأن الكتابة تعتمد على مستوى اللغة ، فإن الفهم الجيد للكتابة يتطلب الانتباه إلى تفسير السياق. يتضمن ذلك تحليل بنية الكلمات والجمل في النص.

- **السياق غير اللغوي أو المقام:**

هي عبارة عن الحال والمواقف والملابسات المحيطة بالنصوص، يسمى بالسياق الموقف أيضا، لأنه يدل على العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام، والأحوال والملابسات يحيط العناصر المتعددة ولها أثر في انتاج معنى النص وفهمه. أي أن السياق الغير لغوي يتضمن الحال والمواقف والملابسات

التي تحيط بالنصوص، وهي العوامل التي تؤثر على فهم النص بخلاف الكلمات المستخدمة فيه. ويسمى السياق الغير لغوي أيضاً بالسياق الموقف، وذلك لأنه يدل على العلاقات الزمانية والمكانية التي يتم فيها الحديث في النص.

وأن الأحوال والملابسات التي تحيط بالعناصر المتعددة في النص، لها أثر كبير في إنتاج معنى النص وفهمه. فعلى سبيل المثال، إذا كان النص يتحدث عن حدث معين وتم كتابته في وقت قريب من وقوع هذا الحدث، فإن ذلك سيؤثر على فهم النص وتفسيره بطريقة مختلفة مما سيحدث بعد وقت طويل من وقوع الحدث. ويمكن أن تؤثر الأحوال والملابسات الاجتماعية والثقافية والجغرافية والاقتصادية أيضًا على فهم النص.

ويمكن استنتاج أن السياق الغير اللغوي يعد عاملاً مهمًا جدًا في فهم النصوص، ويمكن أن يكون أحيانًا أكثر أهمية من اللغة المستخدمة في النص. ويشير النص إلى أن الكاتب يجب أن يكون على دراية بالسياق الغير اللغوي للمستلمين المحتملين للنص، وذلك لضمان وصول الرسالة بشكل صحيح وفعال.

والحاصل من الكلام السابق أن السياق غير اللغوى يضم سياقات متنوعة نحو: السياق الثقافى، والسياق الموقفى والسياق العاطفى، ولكل واحد منها دور مهم في تحديد المعنى بالإضافة إلى ذلك، فإن فهم السياق الغير اللغوي يساعد في فهم التعبيرات الاصطلاحية والتعابير الشائعة في لغة معينة. فعندما نسمع عبارات مثل "يضرب عصفورين بحجر واحد"، فإن فهم السياق الغير لغوي يساعد في فهم معنى هذه العبارة وكيفية استخدامها بشكل صحيح.

- أنواع السياق غير اللغوي:

تعني فكرة "أنواع السياق غير اللغوي" أنه يمكن تصنيف العوامل الغير لغوية التي تؤثر على الاتصال والتواصل بين الأفراد إلى أنواع مختلفة، وذلك بناءً على طبيعة السياق الذي يحدث فيه الاتصال. ويشير السياق الغير اللغوي إلى العوامل التي تؤثر على معاني الرسائل بطريقة غير لغوية ولا تتعلق باللغة المستخدمة في الاتصال. يمكن تصنيف السياق غير اللغوي إلى ثلاثة أنواع رئيسية وهي:

1- السياق الزماني:

يشير إلى الزمان الذي يتم فيه التواصل، ويتأثر بالظروف الزمنية للحدث. وقت اليوم والموسم والتاريخ والعصر والوقت المحدد للتواصل هي كلها أمور تتعلق بالسياق الزماني. على سبيل المثال، يمكن أن يتأثر معنى الكلمات والإشارات المستخدمة في تواصل بين شخصين في المساء مقارنةً بنفس النوع من التواصل في الصباح.

2- السياق المكاني:

يشير إلى المكان الذي يتم فيه التواصل، ويتأثر بالظروف المكانية للحدث. الجوار والبناء والمدينة والريف والأرض والمنطقة والمكان الداخلي / الخارجي للتواصل هي كلها أمور تتعلق بالسياق المكاني. يمكن أن يؤثر المكان بشكل مباشر على السلوك والمواقف والاتصالات البشرية.

3- السياق الثقافي:

يشير إلى الثقافة والتقاليد والقيم الاجتماعية والدينية واللغوية التي ينتمي إليها المتحدثون. يمكن للثقافة التي يتحدث بها الأشخاص أن تؤثر على معاني الرسائل التي يرسلونها ويتلقونها. على سبيل المثال، قد يعني استخدام كلمة معينة في بعض الثقافات شيئًا مختلفًا تمامًا عن الذي يعنيه في ثقافة أخرى.

4-السياق الاجتماعي:

السياق الاجتماعي هو المجموعة من العوامل والظروف الاجتماعية التي يتم فيها استخدام اللغة. وهو يشمل المجتمع والثقافة والتقاليد والعادات والتصورات والقيم الاجتماعية التي يعيشها الفرد. وبالتالي، فإن السياق الاجتماعي يحدد الطريقة التي يتم فيها استخدام اللغة وتفسيرها، ويؤثر على المعاني التي يتم تبادلها. على سبيل المثال، يمكن لنفس الكلمة أو الجملة أن تعني أشياء مختلفة في سياقات اجتماعية مختلفة. فمثلاً، قد يعني مصطلح "العمل" في السياق الاجتماعي للعمال أو الفلاحين شيئًا مختلفًا عما يعنيه في السياق الاجتماعي للمديرين التنفيذيين. وبالتالي، فإن فهم السياق الاجتماعي يساعد في فهم المعنى الحقيقي للكلمات والجمل، ويمكنه أن يساعد على تجنب الخطأ في التفسير أو الاستخدام.

وتتأثر اللغة أيضًا بالعوامل الاجتماعية مثل الجنس والعمر والطبقة الاجتماعية والثقافة والمكان الجغرافي والزمان. ومن خلال السياق الاجتماعي، يمكن للأفراد التعرف على هذه العوامل وكيفية تأثيرها على استخدام اللغة وفهمها. ويساعد السياق الاجتماعي أيضًا في فهم الثقافات والعادات المختلفة وتقبلها.

5-السياق الجسدي:

السياق الجسدي هو المجموعة من الإشارات والتعابير الجسدية التي يستخدمها الفرد للتعبير عن نفسه وتوصيل رسائل غير لفظية. وهو يشمل الملامح الوجهية، وحركات الجسم، وتوجهات العين، والموقف الجسدي، واللمسات، والردود الجسدية الأخرى. يعتبر السياق الجسدي مهمًا في التواصل البشري، حيث إنه يعزز المعنى اللفظي ويوفر معلومات إضافية عن المتحدث أو المتلقي للرسالة. فعلى سبيل المثال، إذا كان شخص ما يتحدث بصوت منخفض وبتعابير جسدية محدودة، فإن ذلك قد يعني أنه يشعر بالحزن أو الخجل. ومن ناحية أخرى، إذا كان الشخص يتحدث بصوت مرتفع وبحركات جسدية واثقة، فإن ذلك يشير إلى ثقته وقوة شخصيته. ويمكن استخدام السياق الجسدي في العديد من المجالات، بما في ذلك العمل والتعليم والعلاقات الشخصية والسياسة. ويساعد في تحسين فهم الرسائل الغير لفظية وتحسين جودة التواصل البشري. ويتطلب الفهم الجيد للسياق الجسدي التدريب والممارسة والتفاعل المستمر مع الآخرين. يجب مراعاة جميع أنواع السياقات الغير لغوية عندما نفهم المعنى والرسائل التي يتم إرسالها في الاتصالات البشرية، وقد يساعد الوعي بالسياقات الغير لغوية في تحسين التواصل وتقليل الخطأ في التفاهم والتواصل بين الأفراد

من خلال الحصول على فهم أكثر شمولًا للموقف بشكل عام. علاوة على ذلك، يمكن استخدام المعرفة بالسياقات الغير لغوية لتحديد العوامل التي تؤثر على نجاح التواصل والتفاهم في الأعمال والمنظمات والمجتمعات. وبشكل عام، فإن فهم السياقات الغير لغوية يساعد في تعزيز فعالية التواصل البشري وبناء علاقات أفضل بين الأفراد والثقافات المختلفة.

السياق غير اللغوي في أحاديث الرسول ﷺ خلال شرح الإمام السبكي لسنن أبي داؤود

قال رسول الله ﷺ: "حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى الْمَعْنَى قَالاَ نَا سُفْيَانُ قَالَ مُسَدَّدٌ قَالَ حدثنا الزُّهْرِيُّ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: هَلَكْتُ قَالَ: ومَا شَأْنُكَ؟ قَالَ وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ. قَالَ فَهَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً؟ قَالَ لاَ. قَالَ فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ لاَ. قَالَ فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟ قَالَ لاَ. قَالَ اجْلِسْ. فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ, فَقَالَ تَصَدَّقْ بِهِ. فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرَ مِنَّا. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ ثَنَايَاهُ. قَالَ فَأَطْعِمْهُ إِيَّاهُمْ. وَقَالَ مُسَدَّدٌ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنْيَابُهُ."[6]

قال الإمام السبكى " (قوله حتى بدت ثناياه) لعلّ الصواب أنيابه كما فى رواية البخارى ورواية مسدد المشار إليها فى آخر الحديث، فإن الثنايا تظهر عند التبسم غالبا، والمتبادر من السياق إرادة الزيادة على التبسم. والثنايا جمع ثنية وهى أربع فى مقدم الفم: ثنتان من أعلى وثنتان من أسفل."[7]

معنى الحديث: هذا الحديث يتحدث عن رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بأنه قعد على امرأته في رمضان، وعدم قدرته على تحرير رقبة أو صيام شهرين متتابعين، أو تطعيم ستين مسكيناً. فقال النبي صلى الله عليه وسلم له أن يجلس، ثم أتى بعرق فيه تمر وأمر الرجل أن يتصدق به ويطعم أهل بيته، وعندما قال الرجل أن بيته أفقر من أهل بيت آخر، ضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت ثناياه، ثم أمر بإطعام أهل بيت الرجل.

يُعتبر هذا الحديث نموذجاً لتعليم النبي صلى الله عليه وسلم للتسامح والرحمة والتفاهم، والتعامل مع المشاكل بشكل إنساني وصدق وصراحة. فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يلوم الرجل على ما فعل، ولكنه أعطاه بديلاً لإفساد شهر رمضان بتحرير رقبة، أو الصيام لمدة شهرين، أو إطعام ستين مسكيناً. وهذا يدل على أن الإسلام يحث على الإصلاح والتعامل بحكمة مع المشاكل والأزمات، وأن الإنسان يجب أن يكون رحيماً ومتفهماً في تعامله مع الآخرين.

من الجوانب الهامة التي يمكن استخلاصها من هذا الحديث هي العدل والإنصاف، فالنبي صلى الله عليه وسلم أمر الرجل بإطعام أهل بيته بالتمر وهو على علم بأن بيته أفقر من بيت آخر، مما يدل على أنه لم يتحيز لصالح الرجل أو يسعى لإسعاده على حساب آخرين، بل أمره بالعدل والإنصاف في التعامل.

ويظهر هذا الحديث أيضاً أهمية التصدق والتضامن مع المحتاجين وإطعام الفقراء والمساكين، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل بإطعام ستين مسكيناً بدلاً من تحرير رقبة أو الصيام لمدة شهرين، وهذا يدل على أن الإسلام يحث على الإنفاق في سبيل الله وإطعام المحتاجين والفقراء، ويعتبر هذا من الأعمال الصالحة التي تكثر بها الخير وترفع بها الدرجات.

ويعكس هذا الحديث أيضاً قيمة الابتسامة والفرح والتفاؤل، فقد ضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت ثناياه عندما قال الرجل أن بيته أفقر من بيت آخر، وهذا يدل على أهمية الابتسامة والتفاؤل في التعامل مع الآخرين وتحفيزهم على العطاء والإحسان، وكذلك تخفيف الأجواء والتخفيف من الضغوطات التي يمكن أن تنشأ في المجتمع.

التحليل: تأتي عبارة السبكي " (قوله حتى بدت ثناياه)" في سياق شرح حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي ينص على: "إذا تبسم الرجل فانظر إلى وجهه فإذا بدت ثناياه فهو لكذبه يحتمل". ويأتي هذا الحديث في سياق تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من الكذب وتحري الصدق والأمانة، وعدم التلفيق والنميمة، وعندما يشير السبكي إلى أن الصواب في هذا الحديث هو "أنيابه" وليس "ثناياه"، فإنه يحاول تصحيح اللغة المستخدمة في الحديث، وهو يفسر ذلك بالاستناد إلى روايات أخرى لنفس الحديث.

وعندما يشرح السبكي معنى "الثنايا"، فإنه يوضح أنها الخطوط الصغيرة التي تظهر في مقدمة الفم عند التبسم، وأن ظهورها يشير غالبًا إلى زيادة التبسم أو ارتفاع مستوى التبسم. ويعزو السبكي ذلك إلى العضلات التي تساعد في إنتاج التبسم.

ومن خلال هذا السياق، يأتي تفسير السبكي للحديث، حيث يشير إلى أن ظهور الثنايا يشير إلى الكذب، وهذا يتماشى مع سياق الحديث والتحذير من الكذب والنميمة. وبذلك، يعطي السبكي تفسيرًا شاملاً للحديث، يشرح فيه معاني اللغة المستخدمة والمفاهيم الشرعية التي يتحدث عنها.

إذن علمنا الحديث يناقش نوع الأسنان التى ذُكرت في هذا الحديث، فنعلم أن صفة رسول الله ﷺ أنه لم يضحك كثيرا. بل كان يبتسم غالبا. كما قال بدر الدين العينى والآخرون: "كان لا يضحك إلا في أمر يتعلق بالآخرة، فإن كان في أمر الدنيا لم يزد على التبسم. وقيل: إن سبب ضحكه صلى الله عليه وسلم كان من تباين حال الرجل، حيث جاء خائفا على نفسه راغبا في فداها مهما أمكنه، فلما وجد الرخصة طمع أن يأكل ما أعطيه في الكفارة. وقيل: ضحك من حال الرجل في مقاطع كلامه وحسن تأتيه وتلطفه في الخطاب وحسن توسله في توصله إلى مقصوده."[8]

في هذا الحديث استخدم الكلمة "الثنايا" وهى الأسنن المتقدمة التى تظهر أولا عند الابتسام ، كما شرحه السهارنفورى: " وهي الأسنان المتقدمة اثنتان فوق واثنتان تحت"[9] ويظهر باسياق أن المراد هنا

زيادة الضحك ، ويصلح هنا استخدام (أنياب) بدلا من (ثنايا) "قيل: لعلها تصحيف من أنيابه، فإن الثنايا تتبين بالتبسم غالبا، وظاهر السياق إرادة الزيادة على التبسم، ويحمل ما ورد في صفته صلى الله عليه وسلم أن ضحكه كان تبسما غالب أحواله،."[10] وذكر هذا الحديث بالالفاظ المختلفة، نحو في "رواية البخاري: حتى بدت أنيابه (1). وفي رواية ابن إسحاق: حتى بدت نواجذه (2). وظاهرها بين الروايتين على أن المراد بالضحك ما فوق التبسم؛ فإن الثنايا تبين بالتبسم"[11]

والحاصل أننا نعلم كيفية رسول الله ﷺ خلال هذا الكلام، وهذا كله يظهر بالسياق.

" حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ نَا وُهَيْبٌ أَنَا أَيُّوبُ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ– قَالَ "الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى وَفِي سَابِعَةٍ تَبْقَى وَفِي خَامِسَةٍ تَبْقَى"."[12]

قال السبكى: " (قوله التمسوها الخ) أي اطلبوا ليلة القدر المعلومة من السياق في تاسعة تبقى وهي ليلة الحادى والعشرين لأن المحقق المقطوع بوجوده بعد العشرين تسعة أيام لاحتمال أن يكون الشهر تسعة وعشرين يومًا وليوافق الأحاديث الدالة على أنها في الأوتار. والسابعة الباقي ليلة ثلاث وعشرين والخامسة الباقية ليلة خمس وعشرين. وهذا كله مبني على أن الشهر تسعة وعشرون يومًا. أما على أنه ثلاثون فلا تكون إلا في شفع فتكون التاسعة الباقية ليلة ثنتين وعشرين والسابعة الباقية ليلة أربع وعشرين والخامسة الباقية ليلة ست وعشرين، ويؤيده ما سيأتي لأبي سعيد من قوله إذا مضت واحدة وعشرون فالتى تليها التاسعة الخ، وهذا على طريقة العرب في التاريخ إذا جاوز نصف الشهر يؤرخون بالباقي منه وإذا لم يجاوز نصفه أرخوا بما مضى."[13]

معنى الحديث: تتحدث هذه الرواية عن الأيام الأخيرة من شهر رمضان المبارك، وتحث على البحث عن ليلة القدر التي تعد من أفضل الليالي في العام. وينص الحديث بالتحديد على التمسك بالعبادة في العشر الأواخر من شهر رمضان، وخاصةً في الليالي التاسعة والسابعة والخامسة، وذلك لأن ليلة القدر من المحتمل أن تكون في إحدى هذه الليالي.

يعتبر البحث عن ليلة القدر وعبادتها من أهم العبادات في شهر رمضان المبارك، فهي ليلة يتوجب على المسلم السعي للتقرب إلى الله فيها والتضرع إليه بالدعاء والاستغفار والعبادة الصالحة، وهي ليلة يعد فيها الحسنات بالضعف أو أكثر من ذلك، وفي النهاية، يجب على كل مسلم السعي للبحث عن ليلة القدر والاجتهاد في العبادة في العشر الأواخر من شهر رمضان، والتضرع إلى الله تعالى بالدعاء والاستغفار والطاعة، حتى يستحق الحصول على الثواب العظيم في هذه الليلة المباركة.

التحليل: في كلام السبكي، يتحدث عن تفسير حديث "التمسوها في العشر الأواخر من رمضان في تاسعة

تبقى وفي سابعة تبقى وفي خامسة تبقى". ويشير السبكي إلى أن هذا الحديث يشير إلى أن ليلة القدر قد تكون في الليالي التاسعة والسابعة والخامسة من العشر الأواخر من شهر رمضان. ويتحدث عن أن التاسعة تبقى ليلة الحادي والعشرين لأن المحقق المقطوع بوجوده بعد العشرين تسعة أيام، وهذا قد يحدث في حالة كان الشهر تسعة وعشرين يومًا. ويشير السبكي إلى أن هذا التفسير يوافق الأحاديث الدالة على أن ليلة القدر في الأوتار، ويشير السبكي إلى أنه إذا كان الشهر ثلاثين يومًا، فستكون ليلة القدر في الأيام الأخيرة من الشهر، حيث ستكون التاسعة الباقية ليلة الثانية والعشرين، والسابعة الباقية ليلة الرابع والعشرين، والخامسة الباقية ليلة السادس والعشرين، ويشير السبكي إلى أن هذا التفسير يستند على عرف العرب في التأريخ، حيث يستخدمون الباقي من الشهر لتحديد التواريخ في حال كان الشهر قد جاوز نصفه، ويستخدمون الماضي من الشهر لتحديد التواريخ في حال لم يجاوز الشهر نصفه. ويذكر السبكي أن هذا التفسير يتفق مع قول أبي سعيد "إذا مضت واحدة وعشرون فالتي تليها التاسعة الخ".

ونعلم أن السياق غير اللغوى يحيط على الموضوع أو البيئة التى تتناقش فيه الكلام، ففي هذا الحديث لم يُذكر كلمة "ليلة القدر" لكن السياق هو الذي يظهر لنا معنى السياق.، كما جاء السهارنفورى بالمعنى الكلمة: " (التمسوها) أي اطلبوا ليلة القدر"14 وصاحب منحة البارى عدّها بالبدل، حيث قال: " (التمسوها) أي: ليلة القدر. (ليلة القدر) بالنصب بدل من ضمير (التمسوها)"15 وهذا الضمير رغم أنه مبهم لكن يفسّر الليلة القدر، حيث قال الكرمانى: " قوله {التمسوها} الضمير مبهم يفسره ليلة القدر كقوله تعالى «فسواهن سبع سموات» وهو غير ضمير الشان إذ مفسره لابد وأن يكون جملة وهذا مفرد."16 إذن علمنا من السياق أّن رسول اللهﷺ كان يتكلم عن ليلة القدر وليس عن ليلة أخرى.

وابن عبد البرّ جاء بالتفصيل هذه الكلمة، حيث قال: " التمسوها في العشر الأواخر والتمسوها في كل وتر وهذا أعم من ذلك لما فيه من الزيادة في الليالي التي تكون وترا وفيه دليل على انتقالها والله أعلم وأنها ليست في ليلة واحدة معينة في كل شهر رمضان فربما كانت ليلة إحدى وعشرين وربما كانت ليلة خمس وعشرين وربما كانت ليلة سبع وعشرين وربما كانت ليلة تسع وعشرين وقوله في كل وتر يقتضي ذلك وذكر عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة قال ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر في كل وتر."17

"حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَهَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، قَالَا: ثَنَا وَكِيعٌ، ثَنَا الْأَعْمَشُ، قَالَ: سَمِعْتُ مُجَاهِدًا، يُحَدِّثُ عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبْرَيْنِ، فَقَالَ: " إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا هَذَا فَكَانَ لَا يَسْتَنْزِهُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا هَذَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ثُمَّ دَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ، ثُمَّ غَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا، وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا، وَقَالَ: لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا "، قَالَ هَنَّادٌ: يَسْتَتِرُ مَكَانَ يَسْتَنْزِهُ[18]

قال السبكى: (قوله إنهما يعذبان) أى اللذين في القبرين من إطلاق المحل وإرادة الحالّ لأن المعذب حقيقة صاحبا القبرين، ويحتمل عود الضمير على معلوم من المقام وهو من في القبر لأن سياق الكلام يدلّ عليه فهو على حذف مضاف على حدّ واسأل القرية، ويعذبان في محل رفع خبر إن، وفي رواية ليعذبان باللام ففيه التأكيد بها أيضا، وإنما سيق الكلام مؤكدا على خلاف مقتضى الظاهر لما فيه من الإخبار بمغيب وما كان هكذا شأنه أن ينكر بقطع النظر عن الخبر به ولتأكيد التنفير من هذا الصنيع الشنيع المؤدّى إلى العذاب والعذاب أصله في كلام العرب الضرب ثم استعمل في كل عقوبة مؤلمة19

معنى الحديث: هذا الحديث من الأحاديث النبوية الشريفة، ويقول فيه النبي محمد صلى الله عليه وسلم إنه مر على قبرين، وأخبر أن الناس الذين في هذين القبرين يُعذبان. وعندما سئل عن سبب هذا العذاب، قال أن أحدهما كان لا يستنزه من البول والثاني كان يمشي بالنميمة، ثم طلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم عسيبًا رطبًا، وشقه إلى قسمين، ثم غرس قسمًا على كل قبر، عسى أن يخفف الله عنهما من العذاب، ما لم يجف قسم العسيب، أما العبارة "يستتر مكان يستنزه" فتعني أن الشخص يتمنى أن يكون مكان يستطيع فيه القيام بحاجته الطبيعية دون أن يراه أحد آخر أو يشعر بالإحراج. يعتبر هذا الحديث من الأحاديث التي تحث على تحري الحياء والاستقامة في الدين والتدين بصفة عامة، كما يشدد على أهمية تجنب السلوكيات السيئة التي تؤدي إلى العذاب في القبر، ويدل هذا الحديث على أن العذاب في القبر حقيقي وموجود، وأنه يأتي بسبب الأفعال السيئة التي يقوم بها الإنسان في الدنيا، وهو يشكل تذكيرًا قويًا للمسلمين بأهمية الالتزام بتعاليم الإسلام وتجنب المعاصي والذنوب.

ويحث هذا الحديث على العمل الصالح والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وعلى السير على الطريق الصحيح في الحياة، وعلى ترك السلوكيات السيئة والأفعال الخبيثة التي قد تؤدي إلى العذاب في القبر.

وبشكل عام، يدعو هذا الحديث إلى الحياء والتواضع، وإلى تقوية الإيمان وتعزيز العلاقة بالله سبحانه وتعالى، وذلك لأن الإنسان لا يعرف ماذا ينتظره في الآخرة، ويجب عليه أن يتقي الله ويعمل الصالحات، لتكون نهايته السعيدة وهو يحظى برحمة الله وجناته.

التحليل: يتحدث السبكي في هذا الحديث عن رواية يروي فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على قبرين وقال: "إنهما يعذبان"، ويريد بذلك أن هذين الشخصين في القبرين يعذبان بسبب إطلاق المحل وإرادة الحال، وأن الضمير الذي يأتي بعد الخبر في الحديث يمكن أن يرجع إلى المتوفين في القبرين، ولكن السياق الكلامي يشير إلى أن الضمير قد يرجع إلى شخص ثالث معلوم من المقام. ويذكر السبكي أن العذاب هو النتيجة الحتمية لهذا الصنيع الشنيع، وأن العذاب هو عقاب مؤلم، وهو مصطلح يستخدم في اللغة العربية للإشارة إلى أي عقاب مؤلم يتعرض له الإنسان بسبب خطيئته أو خطاياه. ويتم تأكيد هذا التنفير من هذا

الصنيع الشنيع المؤدى إلى العذاب بواسطة استخدام التأكيد في رواية أخرى، حيث يذكر الحديث أنهما يعذبان باللام، ويتضح من كلام السبكي أن المغزى من الحديث هو تحذير الناس من الأفعال الشنيعة التي قد تؤدي إلى العذاب في الآخرة، وأن العذاب هو نتيجة طبيعية لمثل هذه الأفعال، وهو عقاب مؤلم يجب تجنبه بكل السبل الممكنة.

شرح العيينى في شرحه مؤيدا كلام السبكى حيث يقول: "فان قلت: المعذب ما في القبرين، فكيف أسند العذاب إلى القبرين؟ قلت: هذا من باب ذكر المحل وإرادة الحال. قال بعضهم: يحتمل أن يكون الضمير عائدا على غير مذكور، لأن سياق الكلام يدل عليه. قلت: هذا ليس بشيء، لأن الذي يرجع إليه الضمير موجود، وهو: القبران، ولو لم يكن موجودا لكان لكلامه وجه، والوجه ما ذكرناه. فافهم."[20] وقال صاحب نيل الأوطار: " أعاد الضمير إلى القبرين مجازا والمراد من فيهما."[21] وجاء ابن ارسلان قائلا: "يحتمل أن يقال: أعاد الضَمِير على غير مذكور؛ لأن سياق الكلام يدل عليه، ويحتمل أن يقال: أعاده على القبرين مجازًا والمراد من فيهما (وما يعَذبَان في كبير)"[22]

إذن يتحدث السبكي في هذه الجملة عن قوله إنهما يعذبان، ويقوم بتحليل نحوي للجملة. يبدأ التحليل بتحديد معنى الضمير المستخدم في الجملة، ويشير إلى أنه يحتمل أن يكون الضمير يعود إلى المقصود المذكور سابقًا وهو اللذان في القبرين. يشير إلى أن سياق الجملة يدل على هذا المعنى. ويوضح السبكي أن الجملة تتكون من خبر إن ومبتدأ، ويشير إلى أن المحل الذي تم إطلاقه على اللذين في القبرين يتم استخدامه كمحل لرفع الخبر. كما يشير إلى أن الجملة تستخدم صيغة المبني للمجهول في المحل الذي تم إطلاقه على اللذين في القبرين. ويذكر السبكي أن هناك رواية أخرى تستخدم حرف اللام للتأكيد، ويشير إلى أن هذا يعزز معنى الجملة ويؤكد على ما تم ذكره سابقًا.

ويشير السبكي إلى أن مقتضى الجملة يختلف عن الظاهر الذي يمكن استنتاجه من الجملة، ويذكر أن ذلك يرجع إلى الرغبة في التنبيه على أهمية تجنب الأعمال الشنيعة التي تؤدي إلى العذاب، ويشير إلى أن العذاب هو عقاب مؤلم وصارم في الثقافة العربية، ويشير إلى أنه يستخدم في كل عقوبة مؤلمة.

بعد هذه الدراسة الموجزة في السياق غير اللغوي لأحاديث الرسول ﷺ نستخلص أن السياق له دور كبير في تحديد المعنى ومن منطلق هذا الكلام لا يُفهم نص ولاكلام إلا بمراعاة السياق اللغوي وغير اللغوي خاصة الكلام الشرعي.

1 - النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ، 242/2

2 - أساس البلاغة، الزمخشري ، 21484

3 - دلالة السياق في التراث وعلم اللغة الحديث، د.عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دار الكتب- بمصر، الطبعة الأولى، تاريخ الطبعة:1991م، الصفحة:26-27

4 - معجم مقاييس اللغة : س ب ق

5 - المرجع السابق.

6 - كتاب الصوم، باب كفارة من أتى أهله في رمضان، الحديث: 2390

7 - المنهل العذب المورود، السبكى، 125/10

8 - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العينى، 33/11، وانظر:- فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني، 177/4، فتح المنعم ، الدكتور موسى شاهين لاشين، 559/4

9 - بذل المجهود في حل سنن أبي داود، خليل أحمد السهارنفوري،553/8

10 - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العينى، 33/11، وانظر:- فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني، 177/4، فتح المنعم ، الدكتور موسى شاهين لاشين، 559/4

11 - شرح سنن أبي داود، شهاب الدين الرملي، 448/10

12 - كتاب الصلاة، باب فيمن قال: ليلة إحدى وعشرين، الحديث:1382

13 - المنهل العذب المورود، السبكى، 327/7

14 - بذل المجهود في حل سنن أبي داود، خليل أحمد السهارنفوري، 32/6

15 - منحة الباري ، زكريا الأنصاري، ، 453/4

16 - الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، شمس الدين الكرماني، 160/9

17 - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، 204/2

19 - المنهل العذب المورود، السبكى، 78/1

20 - عمدة القارى لبدر الدين العينى، 115/3

21 - نيل الأوطار، 119/1

22 - شرح سنن أبى داود، 364/1

المصادر والمراجع

1. Al-nihaya fi Ghareeb al-Hadith wa al-Athar – Ibnul Atheer
2. Asas ul Balagh – Al-Zamakhshri
3. Dilala tu al-Siyaq fi Turath wa ilum ullugha al-Hadith
4. Muajam Maqaees al-lugh
5. Al-Manhal al-azab al-mowrood
6. Umda tul Qari Sharah Sahih Bukhari
7. Bazal al-Majhood fi Hal Sunan Abi Daoud
8. Sharah Sunan Abi Daoud – Shahabuddin Al-Ramli
9. Mihatul Bari – Zakriya al-Ansari
10. Al-Kawakab al-Darari fi Sharah Sahih Bukhari
11. At-Tamheed lima fi al-Almwata wal Asaneed
12. Niel ul-Aowtar.